

حديث  
الكيمياء  
بين  
الأمير الأموي  
والراهب الزومي



د. جلال شوقي



يزيد من معاوية من أبي سفيان في علم  
الحكمة، ويعتبر هذا الأمير الأموي (المشوق  
حوالي سنة ٨٥ هـ - ٧٠٤ م) من أوائل  
المشتغلين بالكيمياء من علماء العرب  
والمسلمين، إن لم يكن أولهم أجمعين.

لعلنا ونحن نؤرخ لبداية اهتمام  
العرب والمسلمين واشتغالهم  
بصناعة الكيمياء أن نرجع إلى مخطوط هام  
محفوظ بمكتبة كوبرلي باستانبول برقم  
٩٢٤ يحتوي على ديوان الأمير خالد بن



أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد :  
ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي  
وأخواني. إني طمعت في الخلافة. فاخترلت  
دوني، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر  
هذه الصناعة. فلا أخرج أحداً عرفني يوماً  
أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان، رغبة  
أو رهبة.

ويقال والله أعلم إنه صح<sup>(١)</sup> له  
عمل الصناعة. وله في ذلك عدة كتب  
ورسائل، وله شعر كثير في هذا المعنى.  
رأيت منه نحو خمسمائة ورقة.

ورأيت من كتبه :

كتاب الخوارات،

كتاب الصحيفة الكبير،

كتاب الصحيفة الصغير،

كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة.

ويقول ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ)

١٢١١ - ١٢٨٢م) في كتابه :

«وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان»<sup>(٢)</sup>

إله :

«كان من أغلّم قريش بفنون العلم، وله  
كلام في صناعة الكيمياء والطب، وكان  
بصيراً بهذين العلمين، منتقناً لهما، وله  
رسائل دالة على معرفته وبراعته. وأخذ  
الصنعة من رجل من الرهبان، يُقال له

## ١ سيرة الأمير خالد :

عن الأمير خالد يقول ابن النديم في  
كتابه «الفهرست» :

«كان خالد بن يزيد بن معاوية يُسنى  
حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه.  
وله همة ومجبة للعلوم

خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة  
من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة  
مصر. وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل  
الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني  
والقبطي إلى العربي.

وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة  
إلى لغة.

ويقول عنه ابن النديم في موضع لاحق  
من كتابه -

«خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان،  
إسلامي منحدث

قال محمد بن إسحق : الذي غني  
بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن  
يزيد بن معاوية، وكان خطيباً شاعراً،  
فصيحاً حازماً ذارياً، وهو أول من ترجم  
له كتب الطب والنجوم. وكتب الكيمياء.  
وكان جواداً يُقال إنه قيل له لقد جعلت

مرياس الرومي. وله فيها ثلاث رسائل  
نصنت إحداها ما جرى له مع مرياس  
الراهب المذكور وصورة تعلّمه منه.  
والرموز التي أشار إليها. وله فيها أشعار  
كثيرة مطوّلات ومقاطع. دالة على حسن  
تصرفه وسعة علمه.

هذا ويستعدّ من خلدون<sup>(٦)</sup> في  
مقدمته اشتغال لأمر خالد بصناعة  
الكيمياء حيث يقول<sup>(٧)</sup>:

«ورثنا مسوا بعض أديانهم ولأقوالهم  
فيها (أي في الكيمياء) خالد من يزيد بن  
معاوية، ربيب مروان بن الحكم.  
ومن انعموا إليّ أن خالداً من الخيل  
لعرني، واليدأوة إليه أقرب، فهو جيد عن  
أعوام والصنائع بالخط، فكيف له بصناعة  
عربية النسخ، مثبته على معرفة طبائع  
المركبات وأمرجتها، وكُتِبَ الناصرين في  
ذلك من نصيحات والقبض ما تضرع بعدد ما  
تُرجو. اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد  
آخر من أهل المداير الصناعية تشبهه باسمه،  
فممكن».

من هذه النصوص نبين لنا أنه بينما يؤكد  
كلّ من ابن النديم وابن خلكان على اشتغال  
الأمير خالد بالكيمياء، ويبتنان أن له فيها  
مؤلفات وأشعاراً كثيرة، فإنّ ابن خلدون  
يُنكر عليه ذلك، ولمّا كان ابن النديم وابن

خلكان أقرب عهد للأمير خالد من  
خلدون، فإنما تُرحّل ولا شك رؤيتهما على  
رواية من خلدون، لا سيما وأنّ هناك  
إشارات متواترة لاشتغال خالد بالكيمياء<sup>(٨)</sup>  
ونسبة أشعار كثيرة إليه في هذه الصفة،  
وتحفظها ما نعرفه بدويان الأمير خالد بن  
يزيد في الحكمة، ويبدأ بتقديمه ثبوتاً.

## ٢ - ديوان الأمير خالد في الحكمة :

لعلّ الأمير خالد بن يزيد من معاوية بن  
أبي سفيان (المتوفى حوالي سنة ٨٥ هـ -  
٧٠٤م) هو ثور من أنشأ ما نعرفه اليوم  
«بالنظم التعليمي»، حيث دوّن الأمير الأموي  
معارفه في صناعة الكيمياء في قوالب شعرية،  
وقد وصلت إلينا عدّة نسخ خطية من هذا  
الديوان الذي يشتمل - حسب ما جاء  
مخطوط مكتبة كوبرلي باستانبول<sup>(٩)</sup> -  
رقم : ٩٢٤ - على ٢٩٨٨ بيتاً، منها ٨٥  
بيتاً منسوبة لابن غمام، ولعله أبو الإصبع  
عبد العزيز بن غمام العراقي الذي عاش في  
القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

ويمكن القول بأنّ ديوان الأمير خالد  
يضم نحو ٢٩٠٣ أبيات جمعها - حسب ما  
جاء بنهاية مخطوط كوبرلي - محمد  
الميقاني<sup>(١٠)</sup> بتاريخ عصر يوم الخميس المبارك  
الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام

١٠٣٧ هـ ٦٢٧ م ومصنع

الديوان :

أمره، والتجانه إليه، وما ورد عليه من  
مرباس.قال غالب :

كان من سبب خالد ومرباس الرومي  
لما فتح في حبال بيت المقدس <sup>(١٠٣٨)</sup> إلى دير مزار  
بدمشق، وكان مفعوما بالصعقة، كلفا بها، لا  
يؤثر شيئا عليها، وكان لا يصبر عن السؤال  
عن أمرها، ونسج فيها، وعش برحو إلى  
جد عده عسما بها، ومعرفة بها، فأتاه رجل  
وطلب الإذن عليه، فادخل إليه وسلم عليه  
سلاماً يليماً، وقال له الرجل بعد سلامه :  
ياي رجل من بيت المقدس، وقد أثبت  
الأمر مصححة لم يأتها أحد بمثلها.  
فقال له الأمير خالد : وما نصيحتك.

قال : بلعي ألك تطلب الصعقة، فأثبت  
أعبرك عن رحل في حبال بيت المقدس، أنا  
عارف بمكانه، يهدي إلى بيت المقدس في  
كل سنة من الذهب شيئاً كثيراً. فقال له  
خالد : لئن كثرت صادقاً فيما ذكرت  
لأعطينك ما يقصر مئاة دونه، ولئن كثرت  
كاذباً فيما ذكرت لأبعلن بك ما تستحقه.  
فقال له الرجل : حسبك قد أوصفتني من  
نفسك.

قال : ففرح خالد بذلك، وأعجبه ما  
رأى <sup>(١٠٣٩)</sup> منه، وأمر له بجائزة وكسوة،

بها طالباً يوريطس الحكماء  
عني منطقاً بغير خفاء  
هو زريق الشرق الذي هتفوا به  
في كتبهم من جملة الأثماء  
سموه زهراً في خفي رموزهم  
والخزائفا أغص الأسماء  
ودعوه مابن النار كما يصدقوا  
عن صنعة بخلاف البعداء.

٣ - خطبة الديوان :

نقول خطبة المخطوط <sup>(١٠٤٠)</sup> :

«.... فعكفت على درس كتب  
الفلاسفة، وقراءة الأوضاع السالفة،  
وحالعت الكثير من تواليهم، ووعيت  
الأعداد من رسائلهم، ومن جملة ما ملت  
إليه، وأشرفت عليه جمع ديوان الأمير خالد  
ابن يزيد بن معاوية عفى الله عنه، والسبب  
في وصوله إلى هذا العلم، وما جرى بينه وبين  
مرباس الراهب، وهو مما نسخته من كتاب  
غالب مؤلفي خالد، وهو خادمه وأمينه،  
ونقته على نفسه، وقمته في أهله،  
وكذلك <sup>(١٠٤١)</sup> كان مع خالد، بفوض إليه

إسكندر : إن هذه الأربع صنائع هي مراوحة من واحد، وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، بعضها بعض بعمل، وإن هذه الأخلاق منها أصول، ومنها فروع، فأما الأصول فماء والبار، وأما الفروع فالأرض، هواء، وقال إسكندر أيضاً : رأيت نائفاً الفصل على غيره، لضوئه<sup>(١٤)</sup> وصفائه، فالأرض من ثقل الماء خلقت، وكذلك وجدنا في غزالي آياتاً<sup>(١٥)</sup> الأولى أن كل ذي قوة فمن صفوه ما خلقه لخلق، وكل ذي ثقل فمن ثقل ما قوّقه لخلق.

وقال سرحس راهب : كما أن الطبيعة العلية السماوية ظهرت عنها الطبيعة السفلى البشرية، كذلك الطبيعة العلية السماوية<sup>(١٦)</sup> خلقت من الطبيعة السفلية ومن هذه الطبيعة تكون الشعلة لا من غير هذه الطبيعة.

واعلم أن ما في السماء هو المدبر لما في الأرض، لأن الطبيعة العليا هي المدبرة للطبيعة السفلى

ويشير مريانس الراهب في حديثه إلى الأمر خالد بن يزيد إلى آراء الفلاسفة الآخرين،

#### ٤ لقاء مريانس الراهب بالأمير خالد

قال غالب : فوطني معي وجماعة من غواني، فسرتنا معي في مياي، لرفعنا أرض، ونحعضنا أخرى، فلقينا كدلت أباها في طلب السائح، فإذا نحن به، فلما رأيناه وجدناه شيخاً كبيراً ضعيفاً طويلاً، حسن الصورة، سمّي اسطر، عليه حبة من سفر، فمرحنا به، ورفقنا به، وداريناه حتى قدما به على خالد، وأدحلناه عليه، ففرح به فرحاً شديداً، ما رأيناه على مثله قط، ثم التفت إلي فسألني عن سيرنا ورجوعنا، فأخبرته بالأمر كله، ثم أقبل على الشيخ فسأله عن اسمه، فقال : إن اسمي مريانس الرومي.

فقال له خالد : منذ كم سحنت في هذه الجبال.

فقال : من بعد ملك هرقل بأربع سنين. فقال له : يا مريانس اجلس، ورفعه في مجلسه فأعجبه ما رأي من شيمته وأدبه.....

#### ٥ الدروس الأولى في الصنعة : الطبايع الأربع :

عند هذا الموضع يبدأ مريانس الراهب

مستطرد <sup>(١٤٠)</sup>

وقال فرميس : إن الأرض هي أم الصانع.

منه ولدت وإليها تعود

قال فيثاغورس : كلُّ الأشياء كلها إنما

كأن أحدت من واحد، فكذلك هذه

العصاة إنما هي من شيء واحد، وجوهر

واحد، وكلُّ في بدن الإنسان أربع طبائع

خلقها الله تعالى ذكره وجعلها معروفة

متصلة بمصلحة، متحدة متفرقة، يجمعها بدن

واحد، وكلُّ واحد منهم يعمل عملاً غير

عمل صاحبه، ولها قوائم ولون وسلطان على

حدة، كذلك <sup>(١٤١)</sup> هذا الشيء، ومثل ذلك

شهادة الحكماء إن بطرت إليها كثرة.

وقال مرياسي :

إنما كان شأن الحكماء أن يضيّعوا <sup>(١٤٢)</sup> أسماء

منه وبه قبل أن يضيّعوا به، فأكثف بما قلته

لك. ويقول زوسيم : المصوِّرون إذا أرادوا

أن يصنعوا أي شيء من الألوان أرادوا،

أخذوا من الألوان والأعشاب والأجساد وما

شاكل ذلك اللون، فيصوِّروا به منه،

وكذلك صنعنا الرقعة إنما شبهناها

بالمصوِّرين الذين يأخذون أي لون شاءوا،

ويريدون أن يعملوا به صبغاً يصنعوا به ما

شاءوا من ذلك اللون، وقومهم أيضاً إن

لخاسهم - وإن كان أحمر <sup>(١٤٣)</sup> في الأول -

فإنه لا ينتفع به حتى يصير أبيض. وقوله

ليوسايه إننا قد أعدمنا سوداً، وأنشأنا

البياض بالمنح والظفرون، والذي هو بارد

رطب، فعد ذلك ستيانه يوريفسنا،

وتصديق ما ذكرت قول فرميس إن بدن

الأمر السواد، وبعد ذلك يكون التبييض

بالبياض والظفرون لأنه إن كان شد أمره

أحمر <sup>(١٤٤)</sup>، فصار في آخر الأمر أبيض،

ودهب عنه سواده، ثم يصير أحمر مشرقاً.

وقد قالت مارية : النحاس إذا أحرق

بكبريته، وزددت عليه الرطوبة حتى يهضم،

ذهب طله وسواده، وصار ذهباً ربيعاً

غيراً <sup>(١٤٥)</sup>، مما كان.

وقال زوسيم أيضاً : إن النحاس إذا أحرقته

بالكبريته، ورددت الرطوبة وصنعت به ذلك

مراراً صار أحمر ممّا كان بإذن الله تعالى.

وقال غيره إنار نحاس الحكماء إذا لطح

وجمعا كصفاء عيون الخيتان، فأرحوا غيره

وأيقنوا أنه سرجع إلى طبيعته الأولى وإلى

لونه.

وقال آخر : إن النحاس - وإن صدى وتغير

- فليس بخارج عن طبيعته ولونه، كالذي

يقطع الفرع من على وجه الأرض، والأصل

قائم في الأرض، فإنه يعود في النبات إلى

حالته، كذلك نحاسنا ثابت بطبيعته ولونه.

وقالت مارية : إن النحاس لن يقدر أحد أن

يذهب طله، ولكن الزئبق عناه في مدة

أصبح مبيهاً، ثم عطف محاسن على إتيانها  
على بحر لأمر<sup>(١١)</sup> فحسره.

مهد قول الحكماء إن محاسن يذهب بونه  
في التدبير، ثم يعود إليه، ولا لا يقدّر أحد  
أن شرح جميع سهوات من حسد لإسكان،  
أحدث محاسن لا يقدّر يرتق على تغييره  
ويذهب بونه إلا في رأي بعين، فأمّا في  
أساس فهو نه باق<sup>(١٢)</sup>، وأما محاسن  
فإنه يذهب بياض ارتق، وتبطل بونه في  
الخبرة في الخير والخصر حتى لا يعود في  
حالته الأولى أبداً، لأنّ انحاس قوة مليحة  
عجبة نصهر على الألوان كلّها إذا  
كانت<sup>(١٣)</sup> الألوان معسولة قد ذهب عنها  
سوادها ووسخها وبيضت، فعد ذلك يعدّ  
انحاس السبيل إلى تحميرها ...

## ٦ حِجْرُ الْحُكَمَاءِ أَوْ حِجْرُ الْفَلَّاسِفَةِ :

يقول الكاتب : « فقال خالد :

« لقد وحب شكرك عليّ بما أوّلت  
وأعطيت من نفسك، وقد وعدت باستقام  
هذا الأمر فلا يتفلن عليك ما أسألك عنه،  
فإنّ ذلك لاغباضي بما وهبه الله تعالى من  
معرفةك، ومنّ عليّ به منك، ولا أطمع في  
ذكرك من عبرك، وقد ذكرت لي العنصر  
واللون، وأحسنت في ذلك، وأنا أسألك عن  
حسبة هذا الخمر الذي فضله ورفضه

أخبرني، وطعّب وطبع<sup>(١٤)</sup>، وسمو له  
وحاس محاسن بما غير دس، ليس احسبه  
كثير رهطونه، ورضوته عند الحكماء كثر  
من حسده، وأما ورنه فإنه ححرّ ثقل رين  
قوتي في محسنة لا تنى يقهره بالوارنة، وأما  
طعنه فحلّو، وأما طعنه فهو شكل لغوي

قال خالد :

فأخبرني عن رائحته قبل أن يندثر<sup>(١٥)</sup>  
فرره مبيهاً، وأما التدبير فهو الذي تقول فيه  
الحكماء إنّ هذا الماء يذهب برائحة<sup>(١٦)</sup>  
الميت الذي يشبه رائحة الغاز، وفيه يقول  
مرفوس الملك للحكيم علّمني ما أسألكها،  
قال أيها الملك أف وثق، وربما سماها العنماء  
بألف اسم، وعملوا فيه منافع كثيرة،  
وحملوه ولم يعلموا أنّه هو، ألا ترى إلى قول  
الحكيم ربّما دثر والتدثر عمره كلّ ولا يعلم  
أنّه معه في جانب البيت، ثمّ عند انقضاء تطيب  
رائحته، ولا (يقى) فيه من الكدر والزفورة  
شيء.

قال خالد :

فأخبرني عنه أرخص هو أم غال.  
قال (أي مرياس) له :  
أقبل على قول الخكيم الصاخ إذ يقول إنّ  
علّمتنا من شيء واحد، فاعقل أيها السامع،  
واستعمل فكرك، وإياك أن تقع في الأشياء

قال (أي مرياس) :

هو كما قال الحكيم العلي والفقيه،  
والشريف والوصيع، والمسافر والمقيم، وفي  
الطريق يضرح، وفي المزايل يُوحّد ويُوْطى  
ويُحتقر به، ما أوحش ما احتقرت به  
الغُھال، ولم يعرفوا قدره، وأكثر منه  
الحكماء وأحلوهُ، واعلموا أيها الحكماء  
أنَّهُ (٣٠) واحدٌ مَكْشُورٌ محزُونٌ في الطوائع  
الأربع، وهو أقوى الطوائع.

وقالت مارية : إنا كُتِمنا سرُّنا عن السُّفهاء،  
وأُديناه للحكماء، وسرُّنا واحد مطروح في  
المزايل، لكنّه لا يُعلم حتى يظهر ويخرج، ثمّ  
ترجع إليه رُوْحُه وتسكن فيه. وقال أيضاً إنّه  
سرُّ ظاهر عظيم مَكْشُومٌ محجوب عن  
السُّفهاء، معروف عند الحكماء، فاحتفظوا  
به، فمي الخفض به تشترِفون فإنّه مرتفعٌ  
مَكْرُمٌ، فينبغي أن لا يُهان من أجل أن الله  
عزَّ وجلَّ كَرَّمَهُ، وهو في مكانٍ يلقى كل  
واحد يضاوّه برجله، فهذه كرامة من الله عز  
وجل، إهانة حتى لا تعرفه السفهاء، وهم  
يتحسّرون منه، وهو أظهر منهم، لأن الله  
تعالى جعل فيه سرّاً مَكْنُوناً.

قال خالد :

فهو تعرف حجراً يشبهه، ويعمل عمله  
لاجتماع الطوائع الأربع فيه، أهو يشبه  
الدنيا وتركيبها.

أعجمية، وأعلم أن الكبريت والبرص يحرق  
وتتفرق ولا تثبت، وأنّ الرُّسُق على كل حال  
لقي، وغير ذلك من العقاقير إذا شبه النار  
أحترق فكيف يُرجى غير (من) شيء إذا  
دخل النار تفرّق واحترق وصار فحماً،  
والخحارة لا تدخل في الأحساد، ولا تغوص  
فيها لأنّها، أجساد فلا تعترّ بها، ولكن انظر  
إن أحسنت تدبير الظاهر حتى تُصيّره باطلاً،  
والباطن حتى تُصيّره ظاهراً، وإلا فكف يدك  
عن كَيْسِكَ، فإنّ كلّ شيء يُشترى (٣٨)  
بالثمن فهو باطل.

قد بيّنت لك وأغفلتُكَ الذي يجب لك  
عليّ، وما حملتني على أن يثبت لك ذلك إلا  
رحمة الرهبان الذين أخرجوا من ديارهم في  
طلب هذه الصنعة، والناس قد ضيعوا أهلهم  
وديارهم وأولادهم وأقرباء أعمارهم، وجعلوا  
عنايتهم فيما لا يرد عليهم ضرراً، فإياك  
والنفقة، فإنّ العلم الثام ليس فيه نفقة، ولا  
يُشترى بثمن، وفي ذلك يقول رويسم  
لأوناسيه : أحذرك أن تغرمي في أشياء (٣٩)  
وهي العقاقير التي تُسمى صنعة الذهب،  
وقال أيضاً من التمس سرّاً هذا الحجر فهو  
أمنٌ بمنزلة من أراد أن يَصْعَدَ سُلماً بغير  
درج، فإنّه يسقط على وجهه.

قال خالد :

مفقود هو أم موجود.



قال (أبي مريانس) له :

ليس في الدنيا حجرٌ غيره يُشبهه في عَمَدِهِ  
وطبائِعِهِ، ولم يعمل حكماؤُنَا إلَّا مِثْلَهُ  
الشمس العمل من غيره لما استفادهم تديره،  
ولا طأوعهم، والناس في هذا الأمر على أربع  
منازل :

إِمَّا رَجُلٌ أودَعَهُ فِكْمَتَهُ ولا يُخْبِرُ به إلَّا مَنْ  
استحققه، وإِمَّا رَجُلٌ لا يطلب منه شيئا،  
وتترك العاقل طلب الحكمة عَجْزٌ وضعف  
رأيي منه،

وإِمَّا رَجُلٌ يتدع تدبيراً وعلاجاً من ذات  
نفسه، فذلك الهالك المَهْلِكُ،  
وإِمَّا رَجُلٌ علَّم نفسه، وفرَّغ قلبه، وحسب  
هَمَّتَهُ في جميع كتب الحكماء، وواظب على  
قراءتها، وذاوم النظر فيها، ووقفه الله لذلك،  
وألهمه بما اتضح له منها، شكر الله تعالى  
عليه، وما أشكل عليه منها رَغِبَ إلى الله عزَّ  
وجلَّ تَضَرُّعاً إليه، وسأله أن يكشف له،  
ويفتح له ما عَجَزَ عن فهمه.

فلَمَّا سمع خالد منه هذا القول، لم يزل مُنْكِباً  
على قراءة كتب الحكماء، ناظراً فيها، مُقْبِلاً  
عليها، يقيس بعضها على بعض، ويستشهد  
بعضها على بعض، حتى وَهَبَ الله له معرفة  
ما أَلَمَّه.

ثم قال خالد لغالب :

اعلم أَنَّهُ لا يتعلم علم مريانس إلَّا العاقل

الوقوف، وبالله توفيقي، وبه نستعين. الرَّمْ يَا  
غالب هَذَا الشيخ، وأَحْفَظْ ما تراه منه، فَإِنَّ  
أَعْيَافَ أَنْ يَهْلِكَ قَبْلَ أَنْ أَحَدُ عِلْمَهُ، وَإِلَّا  
هَلَكَ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا خُسَارَةٌ، وَأَنَا أَرْجُو أَنَّ  
يَعِينَا اللهُ عزَّ وجلَّ، ويهب لنا علماً تنفعُنا  
وَنُحْوِده... :

وهنا أخذ على الغامش الأيسر هذه الورقة  
السطور الآتية : نسخة

«من الخمر ربع خمر، واعلم أَنَّ خمر  
الذهب ذهب، وخمر الخمر منه، ولا يصنع  
إِلَّا به، وأجعل هذا الربع خمرًا من الخمر مع  
خمر الذهب، ومن خمر الخمر ما يصلح به،  
واحملهم على الصبح.»

ونابح كلام مريانس حيث يقول :

«حتى إذا صارُوا شيئاً واحداً فأبداً على بركة  
الله وعونه في الغسل، وهو أَنْ تَصُبَّ عليه  
جزءاً من السَّمِّ وتطبخه به مَلْبِئاً ثَلَاثَةً، وانظر  
لا ينقص من إنائه أباً من شيء ولا تغفل عن  
أمر النار لئلا يشتد نارها، فتَهْلِكَ قُدْرُكَ،  
وتدمر على ما فيها بما ترجو غيره، ثم اغتد  
إلى قُدْرِكَ بعد سبعة أيام، وانظر إلى  
الإكسير، فَإِنْ كَانَ شَرِبَ الجزء الذي جعل  
فيه السَّمَّ، فاستبقه جزءاً آخر من بياض  
البيض، وزدْ في قوة نارك قليلاً حتى يشربه،  
فإذا عاد إلى اليس فاستبقه من الماء النقي كما  
فعلت في الأول، وأفعل به ذلك من السقي

خالد، ويقولون كان نزهة خالد مع أهل  
الفقر والضعفاء والمساكين والغرباء حتى  
خرج من الدنيا.

وقالوا: إن خالدًا عمل في ذلك القصر بمدّة  
قريبة على هذا التدبير، وعلى هذه الصّفة من  
هذه الرسالة يقول مرياس ماله نهاية، وهذا  
وأعطى للناس، وأفنّى في سبيل الله، فمن  
تكون له نية للخير والسّداد والصلاح  
والكرم، فيرفقه الله عز وجل بحسن بيّته،  
وهذه وصفة خالد، وأمّى عمره بعد تمام  
عمله وحصول مقصوده، وأحقّ بمصطفى  
من الخيال، وفّر خالد ظاهر حمص، ظاهر  
الياب المعروف بباب الرستن بالقرب من  
قصره.

وسأل الله الجود علينا بمعرفته وعافيته  
وجزيل عطائه، والمواهب لنا.

قال الكاتب : قد بين مرياس في هذه  
الرسالة وستر، وأنبغ مذاهب الحكماء،  
ونطق بكلامهم، فقولُه بينّ للآبه (٣٣)  
مستور عن الخيلة، والخير بيد الله تعالى ثم  
إن خالدًا عمد إلى تصفيف ديوان أفهم به  
جماعة من طلبة هذا العلم، ونحن نبشّر  
بعون الله وبيّته، ونكتب أشعاره، لأنّه لم  
يسبقه سابق، ولا تقدّمه متقدم إلا كان  
مُفصّرًا عنه لأنّه سيك أفابلهم ونظّمها،

في الطّرح حتى يستوعب ما كان تقيّاه من  
الماء، ولا يبقى منه شيء، بعد ذلك تظهر  
الأزهار وتختلف الألوان، ويلبس الإكسير  
لباس المبلّك، ويستلذ العذاب، ويضرب على  
الخمر لشدهد واحد (٣٤) وعشرين يومًا،  
وهذا كلّ موجود في كتب الحكماء، وأطلبه  
فإنك تحذّه مبيّنًا مشروحًا واضحًا، فأكتب  
بقوي هذا أمير أرشدك الله، فإنك  
تذكر مقنوبك، وتتل من الدنيا حاجتك،  
بتصور الله عليك، وتوفيقه إياك.

قال خالد :

فهل فرغ التدبير، أو بقي منه شيء، فعربي  
إياه.

قال (أي مرياس) :

يا خالد - قد فرغ لمن أحب الاختصار،  
ولمن أحب الفائدة فليسه من الماء الخالد  
يكون مُعدًّا له عده، فإنّه يزيد صمًا وقوة  
إن أد اكتمل أيها الأمير.

واعلم أنّه من يزيد يزيد في صبغه بلا نهاية،  
ويشرب كلّما سقّته بلا نهاية.

فتعجب خالد من ذلك طويلاً، ثم أقام  
مرياس عند خالد إلى أن أقام العلم عيانًا،  
وبلغ من العلم والعمل بيّته، فرفض الدنيا،  
وأنحاز عمّا كان عليه أبوه وجدّه من أمر  
الخلافة، وهيا (٣٥) له ظاهر مدينة حمص  
فصّرًا، وهو المعروف إلى هذه الغاية بقصر

وفي أبحاثهم وأخبارهم. ومصر أبحاثهم  
وتدريج أبحاثهم بأحسن عطف وأخبارهم.

وفي ختام هذا الحديث تجدر الإشارة  
إلى أنه قد وردت في هذه المقدمة النثرية  
للديوان أسماء عدد من الحكماء منهم:  
هرقل الملك. وإسطانس. وسرجس  
الراهب. وهزمس. وقثاغورس. وأرس.  
ورؤسيم. وأوثاسيه. ونوسانيه (أوبوسانيه).  
وماريه.

ومن المواد التي أشار إليها المخطوط  
نذكر ما يلي:

التحاس. والملح. والنطرون. وبوريطسا.  
والكبريت. وأبار التحاس. الزئبق. والحجر  
المعراوي الأرجواني. والياقوتة الحمراء.  
وحجر العصفور. والسيلقون. والزرايخ.  
والأكسير. والماء الخالد.

لعل هذه الدراسة المقتضبة لنشأة صناعة  
الكيمياء. أو إن شئت البداية الأولى

للكيمياء الإسلامية. لعلها تكون قد ألقت بعض  
الضوء على عملية انتقال المعارف الكيميائية  
من مدرسة الإسكندرية إلى علماء العرب  
والمسلمين. وأن تكون قد أوضحت اللثام عن  
أولى عمليات نقل العلوم إلى العربية. حيث  
كانت الكيمياء أول ما نُقل إلى اللسان  
العربي.

إنه وإن كانت الكيمياء قد بدأت  
متأثرة ومدفوعة بفكرة إمكان تحويل  
المعادن الحمضية إلى معادن ثمينة إلا أن  
التقدم الذي أحرزته المدرسة الإسلامية  
العربية في مجال التفاعلات الكيميائية.  
والعمل بأوزان مقدرة وأزمنة مقاسة.  
والانتحاء من البداية إلى الاعتماد على التدبير  
أي التجربة — والممارسة والملاحظة  
والاستقراء والقياس. كل ذلك قد حوّل  
هذه الصنعة إلى علم ذي أصول. وجعل  
للبحث منهاجاً علمياً سبقت به المدرسة  
الإسلامية حضارة الغرب بمئات السنين.

## ● الهوامش ●

(١) معجم مدخل الكتب النظرية بالدراسة برفه جلد ١١٢. ويقع في ١٩٠ صفحة

(٢) في الأصل صبح

(٣) الجزء الثاني. صفحة ٦٦٤

(٤) هو دانيال ديسر. لو ريد عبد الإرحى بن حنوت (٧٣٦-٨٠٨ هـ). ١٣٣٩-١٣٤٠ م.

(٥) طبعة دار الفكر بيروت. صفحة ٥٠٥

(٦) مثال ذلك: طبعة بولس إبراهيم طائفة بن بريد في الكيمياء. بن حنوت ٦٦٤. كتف النظر طامي عتبة

٦ ١٧٨٤. كذا: رسائل حالة بولس إبراهيم. مخطوط مكتبة معهد علي

(٧) معجم مدخل الكتب النظرية بالدراسة برفه جلد ١١٢. ١٩٠ صفحة